المشهد
العدد 333 - السنة الثانية عشرة - الأحد 12 نوفمبر 2023 م - 28 ربيع الآخر 1445هـ

قالت العرب

رأيتك فى جبال الشوك راعية بلا أغنام / مطاردة و فى الأطلال / وكنت حديقتى وأنا غريب الدّار / أدقّ الباب يا قلبى على قلبى يقوم الباب والشبّاك والإسمنت و الأحجار.

أحد أسلحة عز الدين القسام

المقاومون يعيدون للعربية بريقها بعيداً عن التبعية والخنوع

قراءة فى أسماء أسلحة المقاومة الفلسطينية ضد جيش الاحتلال

تعد اللغة مؤشرًا فى غاية الأهمية فى قياس تطور الأمم أو تخلفها، فالعلاقة بين تقدم اللغة وحضارة أمة ما علاقة طردية، ترتقى برقيها بكل تكون وسيلته وتنحط بانحطاطها، فاللغة هى طريقة التفكير، وهى وعاء الفكر، فما لا تستطيع اللغة التعبير عنه هو غير موجود حتى وإن شعرنا به ورأيناه، فاللغة هى التى ترسم الواقع وتحدده وتجسد غير المرئى والمحسوس وتجعلنا نتشاركه، وكلما كانت اللغة غنية فى التعبير المحسوس والمعنوى عن المادى والفكرى عن الرمزى والواقعى نستطيع أن نصفها بالقوة.

واللغة لها دورات حياة مثل الإنسان تولد ضعيفة ثم تشب وتقوى حتى تصل إلى أوجه قوتها وعطائها ثم تشيخ وتموت حين تكون غير قادرة عن التعبير عن مجريات عصرها وخواء أمتها. وإذا نظرنا إلى التاريخ لن تجد حضارة قوية دون لغة قوية تعبر عنها وتفرض سلطانها على الأمم التى تتحول إلى تابعة لها لغويًا أى فكريًا، لذا يعد أسوأ أشكال الاستعمار هو الاستعمار اللغوى الذى يجعل الشعوب تابعة لأعدائها تتبنى رؤاه وأفكاره بقصد أو دون قصد غير قادرة عن التعبير عن مصالحها الحقيقية.

وتعتبر اللغة العربية حالة نادرة بين لغات العالم، لغة يتجاوز عمرها الأدبى على الأقل ١٦٠٠ عام أى ١٦ قرنًا من الزمان تجعل من السهل عليك الاطلاع على سبيل المثال على كتاب مثل الأغانى لأبى فرج الأصفهانى الذى كتب منذ أكثر من ألف ومائة عام دون الحاجة للعودة إلى المعاجم وهذا أمر لا يوجد له مثيل فى لغة من اللغات، وله أسبابه المعروفة على رأسها العامل الدينى والقدسية التى تحيط بها. كونها اللغة التى نزل بها القرآن الكريم، واستطاعت هذه اللغة فى فترات أوج الحضارة الإسلامية أن تكون لغة العالم والعلم وعنها ترجم الغرب العلوم التى أثرت لغاتهم وحولتها إلى لغة علم وثقافة.

ومع التدهور الحضارى وحالة الجمود التى مرت بها منطقتنا العربية خاصة فى الحقبة العثمانية التى كان سلاطينها لا يتحدثون العربية، تدهورت اللغة العربية كذلك وانحدرت إلى أشد درجات الانحدار، إلى أن جاء عصر الإحياء والبعث الذى حاول أن يعيد إلى اللغة مجدها التليد الغابر وبالفعل نجح هذا التيار فى تخليص اللغة من كثير من القيود التى كبلتها وأنشأ لنا أدبًا عظيمًا حصد جائزة نوبل فى الآداب، لكن من الناحية العلمية ظلت اللغة العربية ضعيفة وتابعة للغات الغربية وليس أدل من ذلك من عدم تعريب علوم الطب وغيرها حتى الآن ودرسها ما زال بالإنجليزية، ومع زيادة وسائل التواصل والتقدم التكنولوجى الهائل والمخترعات الحديثة زاد الفجوة فلم تعد العربية قادرة على مواكبة هذه المخترعات حتى فى أسمائها، ففى بداية القرن المنصرم كان مجمع اللغة العربية يلعب دورًا مهمًا فى وضع مسميات للمخترعات الحديثة مثل الثلاجة، القطار، سيارة، المقبض...إلخ.

وما إن أصبح العالم قرية صغيرة لم يعد مجمع اللغة العربية قادرًا على أداء هذا الدور وباتت تتداول المنتجات بأسمائها الغربية لأننا أمة لا تنتج وتحولنا إلى مستهلكين فى كل شيء حتى اللغة الأجنبية، فإذا نظرنا إلى سبيل المثال على الملابس على سبيل المثال نجد مرادفاتها بالعربية قلية جدًا ولا تشير مباشرة إلى قطعة الملابس المقصودة فهناك القميص اسم علم على جميع أشكال الأقمصة لكن فى الإنجليزية نجد تفرقة بين شكل وآخر بين polo shirt و Henley shirt و t shirt ...إلخ. فأصبح الرجل العادى مضطرًا إلى استخدام هذه المسميات الأجنبية لغياب البديل العربى المناسب. لكن حين كانت اللغة العربية حضاريًا نجد للسيف على سبيل المثال أكثر من ١٠٠ اسم ويقال ٣٠٠ كل اسم يدل على سيف بعينه بمواصفاته الخاصة، مثل السيف الدمشقى الذى تعد صناعته سرًا علميًا فريدًا مات بموت صناعه استخدمت فى إنتاجه تكنولوجيا متقدمة جدًا لم تكتشف إلا حديثًا.

وانعكست التبعية اللغوية على كثير من جوانب الحياة وهو ما نلحظه حتى فى أسماء المحلات فى شوارعنا، ويمتد ذلك إلى أسماء الآليات العسكرية، لكن ذلك يتبدل مع حركة التحرر الوطنية الفلسطينية حماس ونرى عملية إعادة إحياء اللغة بألفاظ ومسميات تمتد بجذورها إلى تاريخنا وهويتنا وثقافتنا التى نعرفها، دلالة على غياب التبعية للغرب ويتجلى ذلك من خلال الأسماء التى يطلقونها على أسماء منصات الصواريخ وآلياتهم العسكرية التى ينتجونها بشكل محلي، وكان لهذا الأمر سابقة فى مصر فى عهد الراحل جمال عبدالناصر حين عمل على تصنيع صواريخ مصرية باليستية أطلق عليها أسماء «الظاهر، والقاهر، والرائد» واستعان فيها بعلماء ألمان، فشن الكيان الصهيونى حربًا ضد مصر، لإخراج العلماء الألمان منها بأى طريقة، عبر إرسال الطرود المفخخة لاغتيالهم منها ما حدث يوم ٢٣ فبراير ١٩٦٣ ضد العالم الألمانى هانز كلاينفختر. ليفشل المشروع الناصرى فى التخلص من التبعية الغربية فى الأسلحة وتصبح مصر واحدة من أكبر الدول فى العالم استيرادًا للأسلحة.

اختلاف فى السياق

فيما تختلف تجربة حركة التحرر الوطنى حماس فى سياقها الزمانى والمكانى عن مصر فهى حركة محاصرة فى قطاع غزة وغير مسموح لها بشراء أسلحة، فما كان منها إلا أن عملت تصنيعها بنفسها بمساعدة حلفائها وعبر سنوات قليلة امتلكت ترسانة من الأسلحة والصواريخ أرعبت الكيان الصهيونى نتيجة لتطورها السريع كما أنها تكلف الكيان أموالا باهظة لصدها.

فهذه الأسلحة المصنعة محليًا أبعدت المقاومة عن التبعية الغربية اللغوية والفكرية، فتجلى ذلك فى أسماء المعدات الحربية وجاء هذا فى سياقين الأول يحتفى بأسماء أبرز قادة الحركة وعلمائها الذين جرى اغتيالهم من قبل الكيان الصهيوني، والثانى حمل أسماء مأخوذة من الثقافة العربية الدينية.

وفيما يلى قراءة فى مسميات أسلحة المقاومة الفلسطينية فى عزة ودلالاتها الاجتماعية واللغوية:

صواريخ القسام ١ والقسام ٢ والقسام ٣: نسبة إلى المجاهد عز الدين القسام الذى ولد فى اللاذقية (١٨٨٣: ١٩٣٥) وتعلم فى الأزهر الشريف، حارب الاحتلال الإيطالى فى ليبيا والاحتلال الفرنسى فى سوريا، ثم واجه العصابات الصهيونية فى فلسطين التى بدأت فى التدفق والتضييق على أهلها إلى أن استشهد على يد الإنجليز، واختارته المقاومة ليكون اسمًا لجناحها العسكري، الذى يهدف إلى تحرير كل فلسطين من الاحتلال الصهيونى الذى بدأ عام ١٩٤٨م.

وصواريخ القسام بدائية صنعتها حماس عقب خروج الاحتلال الفلسطينى من غزة ولم يكن مداها يتجاوز ١٩ كيلو مترا، ساهم فى تصنيعه نضال فرحات وتيتو مسعود وعدنان الغول، وكانت بداية لصواريخ أبعد فى المدى.

صاروخ سجيل ٥٥: وسجيل كلمة فارسية بمعنى حجر. أى الطين المتحجر ورد ذكر هذه الكلمة فى سورة الفيل عن العقاب الذى نزل على أبرهة الحبشى حين أراد هدم الكعبة الشريفة. أما عن الصاروخ فهو قسامى مطور صنع محليًا في قطاع غزة . صنعته كتائب عز الدين القسام، واستخدم أول مرة فى معركة العصف المأكول عام ٢٠١٤م. واسم المعركة مقتبس أيضًا من سورة الفيل ﴿فجعلهم كعصف مأكول﴾ أى كورق زرع أكلته الدواب وداسته وأفنته.

صاروخ الفجر: هو مسمى مأخوذ من القرآن الكريم، فى إشارة إلى فجر جديد تشهده القضية الفلسطينية بعد ظلام ليل احتلال دام، ويصل مدى الصاروخ فجر حتى ١٠٠ كيلومتر وهناك خمسة أجيال منه واستخدمته سرايا القدس والقسام ضد الكيان الصهيونى فى ٢٠١٢م.

صاروخ الرنتيسى ١٥٠ - ر١٦٠ أو رنتيسى :١٦٠ وهو صاروخ قسامى مطور صنع فى قطاع غزة. صنعته كتائب عز الدين القسام، استخدم أول مرة فى صد العدوان الإسرائيلى على غزة فى ٢٠١٤ م، وهى إحدى عمليات معركة العصف المأكول، والصاروخ نسبة إلى الشهيد القائد د. عبد العزيز الرنتيسى (١٩٤٧: ٢٠٠٤) الطبيب، والسياسى الفلسطينى وأحد مؤسسى حركة المقاومة الإسلامية، وقائد الحركة فى قطاع غزة قبل استشهاده على يد الاحتلال الغاشم.

عياش ٢٥٠: هو درة الصواريخ الفلسطينية صنعته كتائب القسام ويصل مداه إلى ٢٥٠ كيلو متر، استخدم لأول مرة ضمن الحرب على غزة ٢٠٢١ فى قصف مطار رامون فى جنوب صحراء النقب. سُمى نسبة إلى يحيى عياش(١٩٦٦: ١٩٩٦) الذى يلقب بالمهندس الذى اغتيل على يد الكيان الصهيونى بعد أن قام بالعديد من العلميات العسكرية ضدهم لتحرير بلاده من الاحتلال ورفع الظلم عن أهله.

صواريخ الدفاع الجوى متبر١: وتعنى كلمة متبر مُهلك مدمّر، والتبار والتباب: الهلاك. ورد ذكرها فى سورة الأعراف ﴿إِنَّ هَـٰؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ وردت فى سورة الإسراء فى وَعيد من الله لبنى إسرائيل على ظلمهم وهزيمته على يد عباده المؤمنين ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ، وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا، فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾

ومُتبر هو واحد من أحدث أسلحة حركة حماس شارك لأول مرة فى معركة طوفان الأقصى المستمرة حتى الآن، صاروخ أرض جو مضاد للطيران، يستخدم فى التصدى لطائرات الهليكوبتر. بوزن ٨٠ جرام ويصل مداه يصل من ٥٠٠ متر إلى ١٠ كيلومترات.

صواريخ رجوم: مأخوذة من الآية الكريمة سورة الملك ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ﴾ ويحمل المسمى دلالة واضحة وكلمة رجوم جمع لرجم وهو الرمى بالحجارة أو غيرها ورجُمُ السَّمَاء : مَا يَظْهَرُ فِى السَّمَاءِ كَأَنَّهَا نُجُومٌ تَتَسَاقَطُ. صواريخ «رَجوم»، قصير المدى من عيار ١١٤ ملم، نجحت فى الوصول إلى تل أبيب ومعظم المستوطنات الإسرائيلية. فى إنتاج كتائب القسام وظهرت لأول مرة فى معركة طوفان الأقصى.

كما صنعت المقاومة الفلسطينية التابعة لحركة التحرر الوطنى حماس مجموعة من المسيرات منها.

مسيرة أبابيل واحد: مأخوذ الاسم من سورة الفيل عن العذاب الذى لحق جيش إبرهة ﴿وأرسل عليهم طيراً أبابيل﴾ أى أن الله بعث عليهم طيرًا فى جماعات متتابعة، تقذفهم بحجارة من طين متحجّر. وأبابيل تعنى سِرْباً وَرَاءَ سِرْب، مُتَتَابِعَةً، مُتَجَمِّعَةً.

وهى طائرة بدون طيار فلسطينية من صناعة كتائب الشهيد عز الدين القسام، بدأ تصميمها فى زمن نضال فرحات ورفقائه عام ٢٠٠٣م، ولكن اغتاله جيش الاحتلال الإسرائيلى وهو يحاول تجهيز الطائرة ومعه ٥ من رفقائه من كتائب القسام، وبعد أكثر من ١٠ سنوات أعلن عن استخدامها لأوّل مرة يوم ١٤ يوليو ٢٠١٤ أثناء الحرب الإسرائيلية على غزة فى معركة العصف المأكول. أعلنت حركة حماس أن الطائرة من إنتاج مهندسيها. وله ثلاثة نماذج

طائرة A١A وهى ذات مهام استطلاعية.

طائرة A١B وهى ذات مهام هجومية-إلقاء.

طائرة A١C وهى ذات مهام هجومية-انتحارية.

المسيرة شهاب: وردت كلمة شهاب فى القرآن فى أكثر من موضع ﴿إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ﴾ الحجر:١٨، ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ الصافات:١٠، ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ، فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ الجن:٩ والشهب معروفة، والدلالة واضحة فكما تتبع الشهب الشياطين الجم التى تسترق السمع كذلك تقعل مسيرة شهاب التى تتبع وتحرق شياطين الإنس من الصهاينة.

والشهاب طائرة انتحارية تستطيع استهداف الأهداف الثابتة والمتحركة صنعتها كتائب الشهيد عز الدين القسام وأدخلتها للخدمة فى مايو من عام ٢٠٢١ فى معركة سيف القدس وتعد من أهم إنجازات المقاومة الفلسطينية فى تصنيع الأسلحة

مسيرة الزواري: سميت على اسم المهندس التونسى محمد الزواري، الذى ساعد فى تطوير الأسلحة القسامية واغتالته إسرائيل فى عام ٢٠١٦ أمام منزله فى مدينة صفاقس بتونس. ولد الزوارى عام ١٩٦٧م، انتسب إلى كتاب القسام ينسب إليه الفضل فى تطوير سلاح المسيرات لدى المقاومة، وقد أدخلت هذ الطائرات المقاومة إلى نادى تصنيع الطائرات المسيّرة مما يعده كثير من المراقبين تحوُّل جذرى فى موازين الصراع العربي-الإسرائيلي. فالمسيّرات تُوفر إمكانية عمليات الرصد، وتحديد الأهداف، وكشف انتشار الجيش الإسرائيلي، ومعرفة المدى المطلوب لتوجيه الصواريخ، وغيرها من العناصر القتالية وتحديد خريطة الأماكن الحسّاسة التى تريد قصفها.كما أنها قادرة على ضرب أهداف فى عمق إسرائيل، ما يجنب المقاومة المخاطرة بمقاتليها.

وتعد مسيرة الزوارى أحدث جيل من الطائرات المُسيَّرة لكتائب القسَّام، كان أوّل ظهور قتالى لها فى ١٩ مايو عام ٢٠٢١، خلال معركة «سيف القدس». ولعبت دورًا مهما فى معركة طوفان الأقصى.

أما عن القذائف فأشهرها وأحدثها الياسين ١٠٥: نسبة إلى مؤسس حركة حماس الشيخ أحمد ياسين (١٩٣٦: ٢٠٠٤) الذى اغتاله الاحتلال الصهيونى هو عائد من صلاة الفجر على كرسى متحرك بقصف جوي.

والياسين ١٠٥ هى قذائف آر بى جي، من صناعة كتائب عز الدين القسام، استخدمت لأول مرة فى معركة طوفان الأقصى الحالية وأثبت فاعلية كبيرة فى تدمير الدبابات الصهيونية الميركافا الذى يدعى أنها الأقوى تحصينا فى العالم، وتتكون من حشوتين باعتبارها قذيفة ترادفية، إذ تنفجر الحشوة المتفجرة الأولى مع الارتطام فى جسد المدرعة، والثانية تنفجر بعدها بفارق ضئيل من أجل تعزيز الانفجار، واختراق الآلية المدرعة المستهدفة.

قنابل العمل الفدائي: وهى اسم وصفى على غير عادة أسماء أسلحة القسام، لم تحمل أى من قادتها أو مسمى له دلالة دينية وإنما جاء بدلالة وطنية، وكما واضح من اسمها فإن هذه العبوات تحتاج إلى تضحية كبيرة، لأن عملية التفجير تحتاج إلى الاقتراب من الآلية لمسافة قريبة جدًا كما يدل اسمها، وهى قنبلة يدوية مضادة للدروع مجلية الصنع، صنعت وصممت بأيدى الكتائب فى غزة. استُخدمت العبوة لأول مرة خلال عملية طوفان الأقصى لمنح أفراد القسام القدرة على المناورة فى مواجهة الدروع الإسرائيلية عالية التدريع. وتُشبه آلية عملها القنابل اللاصقة التى استخدمها جنود المشاة خلال هجماتهم على الدبابات من مسافة قريبة فى الحرب العالمية الثانية. وقد لاقت رواجًا كبيرًا فى وسائل الإعلام بسبب قدرتها التدميرية الهائلة للدبابات الصهيونية المتوغلة داخل غزة.

شواظ: الشواظ هو لهب من نار لا دخان له. مأخوذة من آية وردت فى سورة الرحمن «يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ» أى يرْسَل عليكم لهب من نَار، ونُحَاس مذاب يُصَبُّ عَلى رؤوسكم، فلا ينصر بعضكم بعضًا يا معشر الجن والإنس.

وشواظ عبوة ناسفة فلسطينية، مضادة للدبابات والعربات العسكرية والأفراد، صنعت محلياً فى وحدة التصنيع التابعة لكتائب الشهيد عز الدين القسام، وصنعت منها المقاومة ٧ أجيال.

طوربيد العاصف: هو أول صواريخ المقاومة البحرية، وردت كلمة العاصف فى أكثر من موضع فى القرآن الكريم، وهى الريح القوية المُدمرة والتى تشمل الأعاصير، وارتبط فى بعض الآيات بالسفن فى البحر مثلما هو فى سورة يونس حيث يقول الله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَـٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ ومن هذا الجانب جاءت تسمية صواريخ القسام البحرية بالعاصف وهو عبارة عن صاروخ يعمل تحت الماء ذاتى الدفع، ويتم إطلاقه إما من غواصة أو سفينة أو حتى من فوق الماء، وهو مصمم للانفجار عند ملامسة أسطح السفن أو الغواصات أو حتى بمجرد الاقتراب منها، لكن سرعته أقل بكثير من سرعة الصاروخ، إذ إنه يحمل رأسا ثقيلا من المتفجرات.

وكثير من هذه الأسلحة تظهر لأول مرة فى معركة طوفان الأقصى وما زال لدى المقاومة الفلسطينية الحرة ما تبهرنا به سواء على مستوى الإبداع اللغوى الذى تغيب عن التبعية الغربية، فما يرتبط بالسماء دلت عليه الشهب والطير الأبابيل ورجوم، وما فى البحر العاصفة، وما فى الأرض شواظ بالإضافة إلى تخليد أسماء المقاومين مثل القسام والرنتيسى الزوارى والشيخ ياسين وعياش.

على الصعيد العسكرى تذل هذه الأسلحةالجيش الهمجى الذى يملك أسلحة فتاكة وتمده أمريكا والعالم الغربى بأعتى الأسلحة لضرب المدنيين الأبرياء من الأطفال والنساء والشيوخ غير آنه عاجز عن مواجهة رجال المقاومة بأسلحتهم التى تبدو بدائية أمامهم لكنها تدخل فى قلوبهم الرعب والخوف وتكبدهم خسائر فادحة فى الآليات والأرواح.

قائد وحدة دفاع جوي من سرايا القدس مع سلاحه

من صواريخ القسام وسجيل والفجر والياسين إلى متبر ورجوم ومسيرات أبابيل وشهاب وشواظ وانتهاء بطوربيد العاصف

د. عبدالكريم الحجراوي